الدرس التاسع عشر

الحساب والجزاء

الحساب والجزاء

المرحلة الرابعة: الحساب: ويعتمد الفوز في الحساب يوم القيامة على الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1] فمن توفر فيه الإيمان عرض للحساب لينال مرتبته في الجنة ولو بعد دخوله النار لمعاص لم يتب منها[2]، ومن لم يتوفر فيه الإيمان فهو من أهل النار ولا ينفعه عمله الصالح لأنه فقد أساس قبوله وهو الإيمان ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾.

والعمدة في الحساب المتعلق بحقوق الله تعالى: هي الصلاة، فإذا وجدت نظر في سائر عباداته من صيام وزكاة وحج ونحو ذلك، كما قال ﷺ: (أول ما ينظر في عمل العبد هو الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر عمله وإذا فسدت فسد سائر عمله)[4].

والعمدة في الحساب المتعلق بحقوق العباد: هي الدماء، فإذا كان قد أراق دماً حراماً لم ينظر في سائر معاملاته الحسنة مع الناس، كما قال ﷺ: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)[5].

---

(١) العصر آية ١ـ ٣.

(٢) لقوله ﷺ (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه عن أنس مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٥٤٩ رقم الحديث ٣٢٢٨.

(٣) البقرة آية ٢١٧.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن قرط مرفوعاً. قال المنذري: لا بأس بإسناده. ورواه في الأوسط أيضاً عن أنس مرفوعاً بلفظ (فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت خاب وخسر) انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٢٤٦ باب الترغيب في الصلوات الخمس والمحافظة عليها. رقم الحديث ٣٣.

(٥) رواه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً. صحيح البخاري ح ٩ ص ٢ كتاب الديات.

والحساب يوم القيامة عرض وسؤال: فالعرض مجرد إخبار للإنسان عما كان قد عمله في هذه الحياة الدنيا، وأما السؤال فمناقشته فيما كان قد فعله، فالعرض يسير وسهل، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[1] وأما السؤال والمناقشة فعسير وشديد، لقوله ﷺ: (من نوقش الحساب عذب) قالت عائشة بعد أن سمعت ذلك: كيف وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[2] فقال ﷺ: ذلك العرض يا عائشة[3].

وفي ذلك اليوم تُنْصَبُ الموازين التي توزن بها السيئات والحسنات من أعمال القلوب والجوارح واللسان، وهي من الدقة بحيث يوزن بها مثاقيل الذر من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾[4]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[5].

فمن زادت حسناته من المؤمنين على سيئاته في الميزان فهو من الناجين ويعطى كتابه بيمينه، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو من الهالكين ويعطى كتابه بشماله، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾[6]، ومن استوت حسناته مع سيئاته فهو إلى المشيئة الإلهية: إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء عفا عنه كما قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[7].

---

(١) الانشقاق آية ٧ـ ٨.
(٢) الإنشقاق إية ٧.
(٣) رواه أحمد، وكذا البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني، انظر تفسير ابن كثير ح ٤ ص ٤٨٨.
(٤) الأنبياء آية ٤٧.
(٥) الكهف آية ٤٧.
(٦) القارعة آية ٦ـ ١١.
(٧) التوبة آية ١٠٢.

وأما غير المؤمنين فلا قيمة لحسناته مهما كثرت، ولا يدخل بها الجنة وان كانت تنفعه في أنها تخفف عنه من النار.

وسيطعن بعض الهالكين في صحة ما هو مكتوب عليهم من قبل الملائكة الحفظة، فيختم الله تعالى على فم من ينكر ذلك ويأمر جوارحه فتشهد عليه بما كان قد فعله في هذه الحياة كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴿٦٥﴾﴾[1].

ثم ينصب الصراط على متن جهنم أي فوقها وهو (أحدّ من السيف وأدق من الشعر)[2] يمر عليه جميع الخلائق مؤمنين وكافرين، وتكون سرعة مرورهم عليه بحسب أعمالهم، فمنهم من يمر بسرعة البرق، ومنهم من يمر بسرعة الريح، ومنهم من يمر بسرعة الفرس، ومنهم من يهرول، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، وأما أهل النار من الكفار فيسقطون من الصراط على جهنم، حيث تشدهم إليها الكلاليب المنصوبة على الصراط[3]، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴿٧٢﴾﴾[4].

وبعد الصراط يكون مقاصة بين المؤمنين أي دفع حقوق بعضهم لبعض بالحسنات والسيئات، وذلك عند القنطرة حتى إذا ما استوفوا هذه الحقوق وفاز أهل الجنة بالحسنات ساقتهم الملائكة إليها، ومن لم تزد حسناته على سيئاته بعد المقاصة ساقتهم الملائكة إلى النار، وقد ورد في الحديث: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا دينار له ولا درهم، فقال ﷺ: بل المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال

---

(١) يس آية ٦٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدّ من السيف. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٢٥١ كتاب القيامة وأحوالها. رقم الحديث ١٠٠٠١.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي بألفاظ قريب مما ذكرنا. انظر نفس المصدر. رقم الحديث ١٠٠٠٠.

(٤) مريم آية ٧١ـ ٧٢.

هذا. وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه. أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[1]، وبعد المقاصة يجتاز المؤمنون القنطرة إلى الجنة.

وفي ذلك اليوم تكون الشفاعة من الملائكة والأنبياء والصالحين والشهداء وهي على نوعين: عامة وخاصة.

الشفاعة العامة: ـ وهي تشمل جميع الخلائق، وتختص بمحمد ﷺ وتسمى الشفاعة الكبرى، وذلك عندما يشفع لأهل الموقف حين يأخذهم العرق وتقترب منهم الشمس ويشتد عليهم الأمر فيشفع لهم لينتقلوا من الموقف إلى الحساب[2].

الشفاعة الخاصة: ـ وأما الشفاعة الخاصة فلها مواقف[3] تشمل أهل الجنة وأهل النار، فيشفع ﷺ لأناس من المؤمنين استوجبوا النار ألا يدخلوها، ويشفع لأناس من المؤمنين في الجنة لإعلاء درجاتهم فيها، كما يشفع لأناس من أهل النار فيخفف عنهم من عذابها، كما ورد بأنه يشفع لعمه أبي طالب فيكون في ضحضاح من النار وهو أهون طبقات النار عذاباً لكنها وإن كانت أهونها فإنها شديدة الألم، كما ورد في صحيح مسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»[4].

المرحلة الخامسة: ـ الجزاء: ـ وهو إما جنة أو نار.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم المنذري ح ٢ ص ٢٤٤ كتاب المظالم، باب القصاص وأداء الحقوق يوم القيامة. رقم الحديث ١٨٣٦.

(٢) ورد في حديث الشفاعة أن عيسى عليه السلام يقول لمحمد ﷺ: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك يدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه، فالخلق ملجمون في العرق. رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٣٦ فصل في الشفاعة رقم الحديث ٩٦.

(٣) انظر التذكرة للقرطبي ح ١ ص ٣٠٨.

(٤) رواه مسلم عن النعمان بن بشير مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٥ كتاب صفة النار. باب من أهون أهل النار عذاباً. رقم الحديث ١٩٧٨.

أولاً: ـ الجنة ونعيمها: ـ وهي اسم لما أعدَّه الله تعالى من النعيم لمن آمن به وبرسله، وسميت الجنةُ جنةً لكثرة ما فيها من الشجر الملتف، الذي يمنع من فيه من التعرض لعيون الآخرين، مشتق من الاجتنان أي الاختباء، ومنه الجنين وهو الولد حالة كونه في بطن أمه، سمي بذلك لأنه مستور عن الأعين، والجنة فوق السموات كما أخبر النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج[1]، والجنة ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[2]، والجنة التي هي جائزة الله تعالى للمؤمنين فيها مائة درجة، (ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)[3] وقد أخبر النبي ﷺ عما يملكه أدنى رجل من أهل الجنة فقال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل ينظر في ملكه ألفي سنة»[4]، بمعنى أنه يحتاج ليقطعه من أوله إلى آخره إلى ألفي سنة بسرعة الجواد المضمر السريع، وقد جعل الله تعالى الجنة محلاً لتلبية شهوات الإنسان بأنواعها الثلاثة ـ المال والجاه والجنس ـ:

أما شهوة المال: فإن المال يطلق على كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على الوجه المعتاد، فيشمل الأرض والعقار والطعام والشراب واللباس، وجميع هذه الأشياء مخلوقة لأهل الجنة على وجه الكمال فيها، فأرضهم واسعة، وبناؤهم من ذهب وفضة وطعامهم من الثمار التي كانوا يأكلون من مثلها في الدنيا مع الفارق الكبير بينهما في الآخرة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5]، وشرابهم من ماء ولبن وخمر وعسل بكميات وافرة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى

---

(١) انظر مختصر سيرة ابن هشام ص ٩٢. وما يليها. الكامل لابن الأثير ح ٢ ص ٣٥.
(٢) آل عمران آية ١٣٣.
(٣) رواه البخاري ح ٤ ص ١٩. كتاب الجهاد. باب درجات المجاهدين في سبيل الله عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٤) رواه أحمد. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٠٨ كتاب الترغيب في الجنة ونعيمها. رقم ١٩.
(٥) البقرة آية ٢٥.

وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[1].

ولباس أهل الجنة من حرير وسندس واستبرق، وقد ورد في الحديث أن أهل الجنة حين يريدون الثياب يقطفون الثمرة من شجرة طوبى ويفتحونها وإذا فيها من الثياب ما يرغبون في لونه وشكله[2]، ولا تبلى هذه الثياب كما لا تفنى أعمارهم ففي الحديث: «فمن يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[3].

وأما شهوة الجاه: فأهل الجنة في حال كمال في أبدانهم فهم بطول آدم ستون ذراعاً في السماء بعرض سبعة أذرع[4]، والذراع قريباً من نصف متر، وجمالهم بجمال يوسف عليه الصلاة والسلام[5] وهم بأخلاق محمد ﷺ[6]، لا يحملون غلاً ولا حقداً ولا حسداً ولا كراهية وإنما هم على قلب رجل واحد كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[7].

وأما شهوة الجنس: فإن الله تعالى جعل لأهل الجنة الحور العين، وهن نساء تحار العين في إدراك مكامن الجمال فيهن، وقد وصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾[8] وقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[9] وبقوله: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ

---

(١) محمد آية ١٥.

(٢) فقد سئل رسول الله ﷺ عن ثياب أهل الجنة فقال ﷺ (تنشق عنها ثمار الجنة) رواه البزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمي ورواه في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد. انظر مجمع الزوائد ح ١٠ ص ٥.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ج٢ ص ٢٨٢ كتاب صفة الجنة باب دوام نعيم أهل الجنة، رقم الحديث ١٩٦٤.

(٤) رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي من رواية علي بن زيد بن جدعان. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٠١. كتاب الترغيب في الجنة رقم الحديث ١١.

(٥) رواه البيهقي بإسناد حسن عن المقداد مرفوعاً بلفظ (من كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب) انظر نفس المرجع. رقم الحديث ١٢.

(٦) الذي قال الله تعالى فيه (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم آية ٤.

(٧) الحجر آية ٤٧.

(٨) الصافات آية ٤٩.

(٩) الرحمن آية ٧٢.

ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾[1] أي يقصرن نظرهن على أزواجهن، ووصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾[2]، والحوراء تغني زوجها يوم القيامة بصوت هو من أفضل نعيم أهل الجنة[3].

وقد أعد الله عز وجل ذلك كله لأهل الجنة بسبب إيمانهم بالله تعالى ورسله وطاعتهم لما أمرهم به واجتنابهم لما نهاهم كما قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[4]، وطريق الجنة محفوفة بالمخاطر والمصائب والمتاعب كما قال ﷺ: «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره»[5]، وهي أقرب إلى المرء من شراك نعله، لأنه بمجرد أن تغادر روحه بدنه يصير إلى الجنة إن كان من أهلها أو إلى النار إن كان من أهلها لقوله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»[6]، وفي الحديث أيضاً: «القبر أول مراحل الآخرة فإما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار»[7].

ثانياً: ـ النار وجحيمها: ـ تفيد النصوص الواردة بشأن نار جهنم التي هي محلّ عقوبة الكافرين والفاسقين يوم القيامة بأن مكانها في عالم الفلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[8]، وعالم الفلك هو فضاء السماء الأولى ولكننا لا ندري على وجه التحديد على ظهر أي جرم من الأجرام الفلكية سيكون أهل النار.

---

(١) الرحمن آية ٥٦.
(٢) الرحمن آية ٥٨.
(٣) روى الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن عمر مرفوعاً (إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط) ورواته رواة الصحيح. الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٣٨. الترغيب في الجنة. رقم ١٠٥.
(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر صحيح البخاري ح ٩ ص ١١٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ.
(٥) رواه مسلم عن أنس مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٢ كتاب صفة الجنة. باب حفت الجنة بالمكاره. رقم الحديث ١٩٦٩.
(٦) رواه البخاري ح ٨ ص ١٢٧. كتاب الرقاق باب الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله.
(٧) سبق تخريجه في ص ٢٠٣.
(٨) الأعراف آية ٤٠.

ونار جهنم ضيقة على أهلها مؤصدة عليهم أبوابها، محيطة بهم أسوارها كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾[1]، ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[2]، ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾[3]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[4].

ولنار جهنم دركات باتجاه الأسفل، وفي كل دركة منها من العذاب ما ليس في غيرها، وقد ورد أن أهون هذه الدركات عذاباً أن يوضع تحت أخمص قدمي أهل النار فيها جمرتان يغلي منهما الدماغ، كما ورد في الحديث: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع تحت أخمص قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه»[5]، يحسب أنه أشد الناس عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً، وأما أشد الدركات عذاباً فهي دركة المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[6].

وليس لأهل النار مراكب ينتقلون بها من مكان لآخر، لأن المراكب إنما هي للزينة والراحة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[7]، ولأن النار محل للعقوبة وبالتالي فليس لهم وسائل نقل فيها.

ويحرم أهل النار على صعيد المال والجنس والجاه بكل أنواع الحرمان:

فعلى صعيد المال: ويشمل الطعام والشراب واللباس والعقار والأرض، فإن أهل النار طعامهم من شجر الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ

---

(١) البلد آية ٢٠.
(٢) الكهف آية ٢٩.
(٣) الفرقان آية ١٣.
(٤) المائدة آية ٣٧.
(٥) رواه مسلم. انظر شرح مسلم للنووي ح ٣ ص ٨٦ كتاب الإيمان. باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه.
(٦) النساء آية ١٤٥.
(٧) النحل آية ٨.

صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[1]، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾[2]، والضريع: نوع من الثمر يكثر فيه الشوك فإذا أكل منه أهل النار أصابهم غصة في حلقومهم فلا يقدرون على إزدرادها ولا يقدرون على إخراجها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾[3]، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[4]، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾[5].

ويلبس أهل النار ثياباً شديدة الحرارة تلتهب على أبدانهم كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[6].

وأما عقارهم فإن أرض جهنم شديدة الحرارة كثيرة النتوءات فيها الجبال وفيها الوديان وكلها تشتعل ناراً على من فيها، وتختلف جبال النار في ارتفاعاتها فمنها ما يبلغ أربعين سنة، ومنها سبعين سنة ومنها مائة سنة، كما ورد الحديث بذلك، فقد كان النبي ﷺ ذات مرة مع أصحابه فسمعوا وجبة ـ أي ضجّة ـ فقال أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إنه حجر ألقي في نار جهنم منذ سبعين خريفاً فهو الآن يهوى في قعرها)[7].

ويجبر الكافر في النار على صعود الجبل فيها، حتى إذا وصل أعلاه دفعته الملائكة من قفاه ليهوي في قعر الجبل كما قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾[8]، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾[9]، والدعُّ: مضعّف العين معناه الدفع من

---

(١) الدخان آية ٤٣.
(٢) الغاشية آية ٦ـ ٧.
(٣) المزمل آية ١٣.
(٤) الكهف آية ٢٩.
(٥) إبراهيم آية ١٦.
(٦) الحج آية ١٩.
(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٥ كتاب صفة النار. باب في بعد قعر جهنم. رقم ١٩٧٧.
(٨) المدثر آية ١٧.
(٩) الطور آية ١٣.

القفا، ولأهل النار بيوت وقصور ولكنها تلتهب عليهم ناراً، يقذف بأحدهم من أعلاها حتى يستقر بأسفلها[1]، ولا يطمع أهل النار أن يملكوا من الأرض ولا من العقار شيئاً لما هي عليه من ضرر وخطر.

وعلى صعيد الجنس: يحرم أهل النار منه حرماناً تاماً وكاملاً لأن الشهوة الجنسية لا تثور في الإنسان إلا بعد الأمن والشبع كما قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاءٌ»[2]، وأهل النار في حالة خوف وفي حالة جوع وبؤس وحزن، فهم في شغل بما هم فيه عن تلك الشهوة.

وعلى صعيد الجاه: فإن أهل النار يحرمون منه في جانبه المادي وفي جانبه المعنوي، أما في جانبه المادي فإن أجسامهم مشوهة في أحجامها فمنهم من يتضاءل حتى يصبح في حجم النمل كما قال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يغشاهم الذل من كل مكان»[3].

ومنهم من يَعظُم في بدنه حتى يصبح ضرس أحدهم كجبل أُحد[4] وحتى يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام[5] ـ أي ما يعادل مائة كيلومتر ـ وسماكة جلد

---

(١) فقد روى شفى بن ماتع رضي الله عنه (أن في جهنم قصراً يقال له: هوى، يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله) وقد اختلف في صحبة شفى بن ماتع، وإذا صح أنه صحابي فالحديث هنا له حكم الرفع. انظره في الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٧٠ كتاب صفة الجنة والنار، فصل في أودية جهنم وجبالها. رقم ٣٩ وقد رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً.

(٢) رواه مسلم والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٥٧٠ كتاب النكاح. باب الحث على النكاح والخطبة. رقم ٤٠٨٢.

(٣) رواه النسائي والترمذي وحسنه، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٩٨ رقم ٨٠٨٠ باب الكبر والرياء والكبائر. ونص العراقي أيضاً على تحسينه. انظر إحياء علوم الدين ح ٣ ص ٤١٨.

(٤) رواه مسلم وأحمد واللفظ. له عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٨٣ كتاب صفة الجنة والنار. فصل في عظم أهل النار وقبحهم. رقم الحديث ٧٠.

(٥) رواه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر، رقم الحديث ٦٩.

أحدهم اثنان وأربعون ذراعاً[1]، وألوانهم زرقاء، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾[2] فقد تغيرت ألوانهم وعيونهم من شدة ما نزل بهم من الأهوال، ووجوههم شاحبة: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾[3]. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾[4].

كما أن أهل النار مشوهون من الناحية المعنوية فأخلاقهم يائسة وقلوبهم بائسة، يكره بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[5]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[6].

وأيضاً فإنه زيادة في تبكيتهم وتحقيرهم يتبرأ منهم حتى الشيطان الذي أضلّهم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[7].

كما أنهم يخاصم بعضهم بعضاً ويوبخ بعضهم بعضاً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[8]

---

(١) رواه الترمذي وصححه، ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر. رقم الحديث ٧١.
(٢) طه آية ١٠٢.
(٣) المعارج آية ١٦.
(٤) عبس آية ٤٢.
(٥) البقرة آية ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٦) الفرقان آية ٢٧.
(٧) إبراهيم آية ٢٢.
(٨) فصلت آية ٢٩.

ويوجه إليهم المؤمنون توبيخاً ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾[1].

كما توجه لهم الملائكة توبيخاً فيقولون لهم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[2]. كما يوبخهم الله تعالى أيضاً ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾[3].

ثم إن أهل النار مخلدون فيها بصورة دائمة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[4]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[5].

---

(١) الحديد آية ١٤.
(٢) غافر آية ٥٠.
(٣) إبراهيم آية ٤٤.
(٤) النساء آية ١٤.
(٥) البقرة آية ٣٩.